

حُمَّارُ الشِّعْرَاءِ

جَشَّمْتَنِي النَّظَمُ عَلَى بَحْرِ عَرَا
مِنَ الْقَوَافِي نَبْدُوهُ بِالْعَرَا

أَوْ هَكَذَا يَبْدُو لِعَيْنِي نَاظِرٍ
لِقَلْةِ الْحَفْلِ بِهِ فِيمَا يُرَى

إِذْ هَجَنُوهُ فَامْتَطَاهُ كُلُّ مَنِ
رَامَ وَسَمَوْهُ حِمَّارَ الشِّعْرَا

أَلَا تَرَاهُ فِي الْبُحُورِ خَامِلًا
مُمْتَهِنًا بَيْنَ الْقَصِيدِ مُزْدَرِي

مُقْتَرِنًا فِي الذِّهْنِ بِابْنِ عَاشِرٍ
وَبِابْنِ مَالِكٍ وَقَارِئِ قَرَا

وَمَعْرِبٌ لِقَامَ زَيْدٌ وَأَتَى
عُمَرُ وَهُمْ عَامِرٌ بِعُمَرًا

وَحِيَثُمَا فَتَّحَ دِيوَانًا فَلَا
تُبَصِّرُ لِلرَّجْزِ فِيهِ أَثْرًا

قَدْ أَنْهَلُوهُ مِنْ قَدِيمٍ بَيْنَهُمْ
فَلَيْسَ فِي شِعْرِ الْفُحُولِ يُقْتَرِى

قَبْلِي تَخَطَّاهُ الْكِبَارُ فَعَنُوا
بِغَيْرِهِ وَكَادَ أَنْ لَا يُذْكَرَا

إِلَّا أُبَيَّاتٌ هُنَّا أَوْ هَهُنَا
مَا يَنِدُ تَارَةً أَنْ يَخْطُرَا

وَفِي الْمَعْلَقَاتِ لَا ذِكْرَ لَهُ
وَلَا اِنْتَهَاهُ عُرْوَةُ وَالشَّنْفَرَى

وَلَا جَرِيرٌ وَالْفَرْزَدُقُ وَلَا إِلْ
أَخْطَلُ وَالرَّاعِي التَّنِيرِيُّ اسْتَرَى

وَالغَزْلُ الْعَذْرِيُّ لَمْ يَلِمْ بِهِ
فِي وَصْفِ عَبْلَةَ بِشَرِّ عَنْتَرَا

وَلَا بِهِ عُرْوَةُ فِي أَقْرَائِهِ
فِي حُبِّ عَفْرَاءَ الْمُحَايَا عَفَرَا

وَلَا الْكُمَيْتُ وَجَمِيلُ وَكُثِيْ
بِير وَمَنْ شَعَرَ فِي أُمِّ الْقَرَى

وَفِي الْكُنَاسَةِ وَسُوقِ مِرْبَدٍ
وَكُلُّ مِصْرٍ قَدْ بَدَا أَوْ حَضَرَا

وَلَوْ تَقَرَّيْتَ الْجِنَانَ وَالشَّا
مَ وَالْعِراقَيْنِ وَمَا تَمَسَّرا

وَطْفَتَ فِي مِصْرَ وَفِي أَنْدَلُسٍ
وَالْقِيرَوَانِ مَعْشَرًا فَمَعْشَرًا

فَلَنْ تَرَى لِلخُلَفَاءِ مَادِحًا
وَلَا الْوُلَاةِ كُلُّهُمْ وَالْوُزَرَا

مِنْ أَمْهُمْ بِرَجْزٍ فَنَالَ مِنْ
عَطَائِهِمْ كَمَا يَنَالُ الشُّعَرَا

فَلَا أَبُو تَمَامٍ أَوْ قَرِيعَهُ
أَبُو عُبَادَةَ لَهُ قَدْ نَشَرَا

وَلَا أَبُو الطَّيْبِ فِي مُعْجِزِهِ
قَدَمَ فِي الْقَوْلِ بِهِ أَوْ أَخْرَا

وَمَدْحَ الْمُلُوكُ أَدْهَارًا فَنَـا
مِنْ أَحَدٍ عَلَى قَرِيهِ جَرَـى

فَهَلْ أَنَا فِيمَا زَعَمْتُ صَادِقٌ
يَا شَيْخُ يَحْيَى أَوْ أَقْتُ الْعُذْرَا؟

لَوْ شِئْتَ قُلْتَ مَا تَرَكْتَ ذِكْرَهُ
مِثْلُ الصَّبَاجِ ظَاهِرٌ لِمَنْ يَرَى

فَأَيْنَ مِنْكَ لَوْ تَقْصِيَتِي الْمَدَى
شِعْرُ الْمَلَاحِمِ إِذَا الْقِرْنُ انْبَرَى

لِقِرْنِهِ وَاسْتَلَّ مِنْ قِرَابِهِ
حُسَامَهُ وَفِي الْخُطَا تَبَخَّرَا

وَقَالَ فِي ارْتِجَازِهِ مِنْ مِثْلِ مَا
قَالَ أَبُو السَّبَطَيْنِ يَوْمَ خَيْرَا

لَمَّا دَعَا إِلَى الْمِصَاعِ قِرْنَهُ:
"أَنَا الَّذِي سَمْتَنِي أُمِي حَيْدَرَا"

وَقَالَ: "لَمَّا أَنْ رَأَيْتُ مُنْكَرًا
أَبْحَجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبِرَا"

وَابْنُ رَوَاحَةَ بِيَوْمِ خَنْدَقٍ
وَغَيْرِهِ كَمْ فِيهِ عَنْهُ أُثْرًا

وَمَنْ تَأْمَلَ فُصُولَ سِيرَةِ
لِابْنِ هِشَامٍ سَيِّرَاهُ أَوْفَرَا

وَفِي الْفُتوْحِ لَمْ يَزَلْ يُنْشِدُهُ
كَمْ بَطَلٌ بَيْنَ الصُّفُوفِ افْتَخَرَا

وَكَانَ بَيْنَ الْعَرْبِ فَنًا رَاقِيًّا
مُسْتَطْرِفًا عَلَى الْقَرِيبِ مُسْتَرِي

يَوْمَ اسْتَجَادُوهُ وَاعْلَوْا شَاءُوهُ
فَقِيلَ "كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا"

وَعَادَ شِعْرُ الطَّرْدِ مِنْ أَشْرَفِ مَا
تَنَافَسَتْ فِيهِ الْبَوَادِي وَالْقُرَى

وَبَاتَ عَنْدَ أَهْلِهِ مُنتَخَباً
لِوَصْفِ صَيْدٍ وَقَنِيصٍ يَدْرِي

يَنْتَابُ أَسْرَابَ الْمَهَا فِي بِيْدِهَا
وَيَنْتَحِي الْغِزْلَانَ فِي وَادِي الْقُرَى

وَكَانَتِ الْمُلُوكُ إِنْ تَاقَتْ لَهُ
دَعَتْ لَهُ مُفْضِلاً وَالْأَحْمَراً

وَالْأَصْمَعِي وَأَبَا عَمْرُو وَمَنْ
يُدْعَى أَبَا عَبِيدَةَ مُعْمَراً

وَمَنْ رَوَى الْأَرْجَازَ عَنْ أَعْرَابِهَا
وَخَالَطُوهُمْ فِي السِّفَارِ وَالسُّرَى

وَكَانَ فِي الْبَدْوِ لَهُ فَطَاحِلٌ
قَدْ نَافَسُوا فِيهِ وَطَاؤُوا الْذَّرَى

وَالْأَغْلُبُ الْعِجْلِيُّ فِي أَرْجَازِهِ
قَدْ جَاءَ فِي الْوَصْفِ بِمَا بَذَ الْوَرَى

سَالَهُ عُمْرٌ أَنْ يُنْشِدَهُ
فَقَالَ: قَدْ سَأَلْتَ خَيْرًا مُحْضَرًا

وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُخْبِرَهُ
فَوَافَقَ الْخَبْرُ لَدَيْهِ الْخَبْرَا

وَكَانَ قَدْ سَنَ الْأَرَاجِيزَ الطِّوَا
لَ كَالْقَصَائِدِ بِهِنَّ اسْتَهْرَا

وَالرَّاجِزُ الْعَجَاجُ فِي آثَارِهِ
قَدْ جَاءَ فِي الْأَرْجَازِ يَقْفُو الْأَثَرَا

فَكَانَ يَقْفُو أَثَرَ الْعِجْلِيِّ فِي
مَيْدَانِهِ وَفِي عِنَانِهِ جَرِي

وَجَاءَ مِنْهُ بِالَّتِي مَطْلَعُهَا
"قَدْ جَبَّ الدِّينَ إِلَّهٌ" جَبَّرَا

وَرُؤْبَةٌ فِي "قَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَا^٠
وِي" قَدْ تَلَّا ذَاكَ السَّبِيلَ وَاقْتَرَى

فَغَاصَ فِي الْلُّغَى عَلَى مُعْتَاصِهَا
فَبَاعَ مِنْهَا فِي الْغَرِيبِ وَاشْتَرَى

وَلَائِي النَّجْمِ أَخِي بَحْلِ بَهِ
مَا لَيْسَ يَشَاؤ شَاؤهُ مِنْ شَعْرًا

وَكَانَ فِي عَهْدِ بَنِي أُمِّيَّةٍ
مُقْدَمًا فِي ذَاكَ بَيْنَ الشُّعَرَا

قَدْ جَاءَ ثَالِثُ الْثَّلَاثَةِ الْأَلْيَ
قَدْ ذَلَّوْهُ مَوْرِدًا وَصَدَرَا

وَكَمْ وَكَمْ مِنْ رَاجِزٍ خَلِّي وَكَمْ
مِنْ حَادِي أَيْنِقٍ بِهِ الْبِيدَ فَرَى

مِنْ رَوَى الْأَرْجَازَ عَنْ رُوَاْتِهَا
أَهْلِ الْعِمَادِ وَتَبَدَّى فِي الْبَرِّ

وَسَمِعَ الْعَرَبَ فِي أَمْثَالِهَا:
"عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمُدُ الْقَوْمُ السَّرَّى"

وَقَوْلُهُمْ: "شَكَا إِلَيَّ جَمِيلٌ
طُولَ السَّرَّى" إِذْ طَالَمَا بِهِ سَرَى

وَقَوْلَ مَنْ قَالَ لِمِبْدٍ كِبِيرٍ:
"أَطْرِقْ كَرَى، إِنَّ النَّعَامَ فِي الْقُرَى"

وَلَمْ يَزِلْ وَالشُّعَرَاءُ تَنْتَخِي
بِالْحِدْقِ فِيهِ فَتَشِيرُ الْعِثِيرَا

فَلَمْ تَكُنْ بَغْدَادُ خَلْوَةً مِنْهُ فِي
أَيَّامِهَا حِينَ الْقَصِيدُ ازْدَهَرَا

فَلِلْعَتَاهِي بِهِ بَدَائِعُ
فِي الرَّزْهَدِ حَلَقَ بِهَا وَاسْتَأْثَرَا

وَلِلنَّوَاسِي رَوَائِعُ بِهَا
فِي الْقَنْصِ وَالْطِرَادِ قَدْ تَصَدَّرَا

وَلِابْنِ مُعْتَزٍ وَحَادِ حَذَوْهُ
مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ وَسَرَّ مَنْ يَرَى

وَابْنُ دَرِيدٍ صَاغَ مَقْصُورَتَهُ
فَفَاقَ فِيهَا مَنْ بَدَا أَوْ حَضَرَا

"يَا ظَبِيلَةً أَشْبَهَ شَيْءاً بِالْمَهَا"
أَعْجَزَ فِيهَا فِي الْقَرِيبِ مَنْ دَرَى

وَلَمْ يَكُنْ الرَّجُزُ فِي يَوْمٍ لَقَى
مُسْتَرْذَلَّا أَوْ كَانَ نِسِيَّاً فِي الشَّرِى

بَلْ زَاحِمَ الْقَصِيدَ حَتَّى جَازَ
مَكَانَةً وَصَارَ مِنْهُ أَسِيرَا

وَكَانَ فِي الْمَغْرِبِ أَوْ أَنْدَلُسٍ
مِنْهُ الْبَدِيعُ أَزْمَنًا وَأَعْصَرًا

وَحَازِمُ الْقَرْطَاجِينِيُّ تِونِسٌ
قَدْ حَاكَ مَقْصُورَتَهُ مَا قَصَرَ

لَكِنْهُ قَدْ عَدَ غَيْرَ حَازِمٍ
لَمَّا بِهَا قَدْ قَصَدَ الْمُسْتَنْصِرَا

فَعَابَهُ بِذَا الْمَكُودِيْ وَلَمْ
يَعِبْ قَرِيضَهُ الَّذِي قَدْ بَهَرَ

أَمَّا الْمَكُودِيْ بِفَجَادَ صَنْعَةً
وَزَادَ إِذْ مَدْوَحَهُ خَيْرُ الْوَرَى

صَلَى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا لَيْلُ دَجَا
وَجَاءَ صَبَحٌ بَعْدِهِ فَنُورًا

وَلِلشَّمَقْمَقِ ابْنِ وَنَانِ بِهِ
قَافِيَّةُ لِقَافِهَا قَدْ كَسَرَا

مُخَاطِبًا حَادِيَهُ: "مَهْلًا عَلَى
رِسْلِكَ حَادِي" أَيْنِقٍ تَهُورًا

وَلِلرِّبَاطِيِّ أَيِّ عَمِّرُوهَا
أُخْتٌ تَقْفَى قَافِهَا وَاقْتَفَرَا

جَاءَ بِالسَّهْلِ الَّذِي يَأْبَى عَلَى
مَنْ رَأَمَهُ وَلَوْ تَعْنَى وَاجْتَرَأَ

فَهَذِهِ قَلَائِدُ الْأَرْجَازِ قَدْ
فَاقَتْ قَلَائِدَ الْحِسَانِ وَالْبُرِّي

فَأَيْنَ مِنْهَا مَا تَرَانِي نَاظِمًا
وَهَلْ تُسِوِّي بِالْجُمَانِ الْحَجَرًا

مَاذَا يَقُولُ شَاعِرٌ إِنْ شَعَرَ
رَأَيْتَ فِي بُحُورِهِ مَا لَا يَرَى

أَشَدَّتُهُ مِنْ نَظَمِهِ مَا لَمْ يَعْدْ
يَذْكُرُهُ وَوَدَ لَوْ تَذَكَّرَا

مَضَيْتَ فِيهِ حَافِظًا لَهُ كَمَا
لَوْ كَانَ مِنْ آيِ الْكِتَابِ سُورًا

مَا بَيْنَ بَحْرِ كَامِلٍ وَوَافِرٍ
وَرَمَلٍ وَمِنْ بُحُورِ أَخْرَا

وَحِينَما افْتَقَدْتَ فِيهِ رَجَّا
لَمْ تَرَهُ مِنْ بَيْنِهَا مُعْتَبِراً

سَالْتِنِيَهُ وَعَدَدْتَ مِنْ جَفَا
عَنْهُ كَمْ أَزَرَى بِهِ وَاسْتَحْقَرَأَ

وَخَلْتَ أَنِي قَدْ هَضَمْتُ حَقَهُ
هَجْرًا وَمَا مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُهْجِرَا

فَقُلْتُ: لَا عَتَبْ عَلَيِ إِنَّنِي
قَدْ سُقْتُ عُذْرِي ظَاهِرًا مُفْسِرًا

لَمَّا رَأَيْتُ الشَّعَرَاءَ نَظَمُوا
فِيهِ السِّخَابَ وَالْحَصَى وَالْبَرَّا

هُجْرَتَهُ هُجْرَانَ قَالَ أَوْ فَقِلَّ
هُجْرَانَ زَاهِدٍ بِهِ مُسْتَصِغِرًا

وَالآنَ قَدْ صَالَحْتُهُ مِنْ أَجْلِ مَنْ
شَفَعَ فِيهِ رَاغِبًا وَمُؤْثِرًا

قُلْ لِأَيِّ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْمُرْتَضَى
طِبْتَ حِلَالًا فِي سَلَا وَمَحْضَرًا

أَهَلًا بِنَا وَبِكَ فِي وَادِي سَلَا
مِنْ حَلَّ وَادِيِهِ سَلَا عَمْنَ وَرَى

قَدْ صَارَ مَا أَمْلَتَ أَمْرًا وَاقِعًا
حَقًّا وَمَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى

مِنْ فَاضِلٍ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ سَرَى
لَيْلًا وَفِي صَبَاحِهِ تَمَّصَرًا

أَتَى سَلَّا فَلَمْ يَكُنْ يَثُوِي بِهَا
حَتَّى سَلَّا عَنْ كُلِّ رَبِيعِ عَمَراً

ذَاقَ نَمِيرَ نَهْرِهَا فَلَمْ يَعُدْ
يُشْفِي صَدَاهُ غَيْرَ مَا مِنْهُ جَرَى

وَلَا يَلَذُ مَطْعَمًا فِي غَيْرِهَا
أَوْ نَسْمَةً يَشْتَمِهَا أَوْ بِكَرَى

فَرَحْبًا بِكَ حَلَّتْ مَنْزِلًا
سَهْلًا فَقَاحَ مَنْدَلًا وَعَنْبَرًا

وَلَا تَزَلْ وَالْيَمْنُ فِي أَكَافِهِ
وَالْأَمْنُ وَالْأَمَانُ مَوْصُولُ الْعَرَى

يَا شَيْخَ يَحْيَى نَخْرَ فَيْفَاءَ الَّذِي
بِهِ تُبَاهِي وَتَنْتَهِي مَفْخَرًا

لِيَهِنِكَ الْفَرْعُ الَّذِي تُعْزِي لَهُ
مِنْكَ الْأَصُولُ الرَّاسِخَاتُ فِي الثَّرَى

وَالْمُنْتَمِي فِي خَيْرِ مَا أَرْوَمَةُ
فِي الْجَذْمِ مِنْ قَطَانَ آسَادِ الشَّرَى

مِنْ بَطْنِ خَوْلَانَ طَلَعَتْ مَاجِدًا
مِنْ مَاجِدِينَ فُضَلَاءَ كُبَراً

مِنْ يَحْصِبُ وَيَشْجِبُ وَيَعْرِبُ
وَذِي رُعَيْنِ وَمُلُوكِ حِمِيرَا

وَكَانَ مِنْهُمْ لِلنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
مِنْ صَحْبِ الْأَنْصَارِ خَيْرُ النَّصَارَا

فَاهْنَا فَقَدْ جَمَعَتْ مَجَدًا طَارِفًا
إِلَى تَلِيدِ حُرْتَ مِنْهُ الْجَوَهْرَا

ثُمَّ هَنِيئًا يَا ابْنَ أَسْعَدَ بِمَا
حَلَّتَ فِي سَلَّا وَطِبْتَ عُمُراً

قَدْ شَمَخْتَ بِكَ سَلَّا إِذْ صِرْتَ مِنْ
أَعْلَامِهَا وَمَنْ لَهَا قَدْ عَمَراً

وَزِدْتَ نَفْرًا وَمَقَاماً بِالذِّي
أَحْرَزْتَ مِنْ مَشِيقَةٍ وَمُقْتَرَا

وَصَارَ مِنْ حَقِّ الْعُلَا أَنْ تَخْتَفِي
بِمَا ازْدَهَى بِهِ الْجِمَى وَازْدَهَرَا

لَدُنْ حَلَّتَ فِي الدِّيَارِ طَالِبًا
فَكُنْتَ بَدْرًا طَالِعًا وَقَرَأَا

وَصِرْتَ فِي أَوَّلِ مِنْ نَعْدَهُ
إِذَا عَدَدْنَا مَنْ عَلَى الشَّيْخِ قَرَا

أَعْنِي السَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ مَنْ بِهِ
نَوَهْتَ فِي الْمَشْرِقِ حَتَّى اسْتَهْرَا

فَأَكْبَرُ الْفَضْلِ إِلَيْكَ يَنْتَهِي
وَكَانَ فَضْلُهُ عَلَيْكَ الْأَكْبَرَا

بِمَا عَنِ السَّبْعَةِ مِنْ قِرَاءَةٍ
رَوَاكَ ثُمَّ زَادَهَا فَعَشْرًا

صُغْرَى وَكُبْرَى وَالَّتِي لِنَافِعٍ
مِنْ طُرُقِ تَعْرِيفٍ وَتَفْصِيلٍ دَرَى

حَتَّى تَمَلَّاتَ بِمَا أَسْنَدَتُهُ
عَنْهُ وَكُنْتَ الْفَائِزَ الْمُظْفَرَا

خُذْهَا أَبَا عَبْدِ الرَّحِيمِ رَوْضَةً
غَنَاءَ رَاقَ زَهْرُهَا وَنُورًا

أَوْ كَعْرُوسٍ بَرَزَتْ مِنْ بَعْدِمَا
ظَلَّتْ يُوَارِيْهَا الْجَابُ أَشْهَرًا

جَلَوْتُهَا عَلَيْكَ فِي مَنْصَةٍ
لَفْتَ حَيَاءً وَجْهَهَا أَنْ تُبْصِرَا

مَا ضَرَّهَا أَنْ لَمْ يَكُنْ مُنْشِئًا
يُدْعَى أَبَا النَّجْمِ أَوِ الْقَبْعَرِي

أَوْ لَمْ تَكُنْ فِي نَفْحٍ طِيبٍ أَوْ مَقَا
مَاتِ الْحَرِيرِيِّ أَوْ لَدَى زَمْخَشَرًا

أَنْتَ الَّذِي جَشَّمْتَنِيهَا فَلَتَكُنْ
عَيْنُ الرِّضَا تُغْمِضُ عَمَّا كَدَرَا

وَإِنْ تَكُ الْأُخْرَى فَتِلَكَ مُكْنَثِيَّ
وَلَا يُلَامُ مَنْ أَتَى مَا قَدَرَا

مَا قَلْتَهُ فِيكَ حَرَّ أَنْ يُزْبِرا
بِالذَّهَبِ الْأَبْرِيزِ ثُمَّ يُنْشَرَا

لِلصِّدْقِ فِيهِ وَالْوَفَاءِ مَوْضِعُ
مَا كَانَ يَخْفَى خَبْرًا وَمَخْبَرًا

كَمْ لِي مِنْ قَافِيَةٍ حَبْرَتْهَا
فَكِدْتُ أَسْتَوْعِبُ فِيهَا الْأَبْحُرَا

كَمْ وَافِرٌ كَمْ كَامِلٌ كَمْ رَمَلٌ
كَمْ مِنْ خَفِيفٍ وَبَسِيطٍ سُطْرَا

كَمْ قُلْتُ فِي فَيْفَاءِ مِنْ قَصِيدَةٍ
عَصْمَاءَ فِيهِنَّ الْبَهَاءُ بَهَرَا

لَكِنَّنِي مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لَمْ أَصُغْ
فِي رَجَزٍ أَوْ هَزَجٍ كَمَا تَرَى

نَفْدُ إِلَيْكَ هَذِهِ يَتِيمَةً
رَقْتُ وَرَاقَتْ فِي رَوِيٍّ حَرْفِ رَا

وَلَا تَسْمِنِي بَعْدَهَا فِي رَجَزٍ
فَلَسْتُ أَمْتَطِي حِمَارَ الشِّعْرَا

د. عبد الهاادي حميتو

سلا: فاتح رمضان المعظم 1437هـ - الموافق 7 يونيو 2016م

حِمَارُ الشِّعْرَاء

الأرجوزة الثانية

يَا شَيْخُ يَحْيَى لَوْ أَعَدْتَ النَّظَرَأَ
رَأَيْتَ فِي الرَّجَزِ مِثْلَمَا أَرَى

فَالشِّبَهُ نَحْوٌ شِبَهٍ مُنْجَذِبٌ
فَلَا تُقُلْ لِي: قَدْ ظَلَمْتُ الْحُمْرَا

وَلَا تُقُلْ فِي رَجَزٍ إِلَّا كَمَا
تَقُولُ فِي الْعِيرِ إِذَا الْعِيرُ جَرَى

كَلَاهُمَا مُسْتَهْجِنٌ لَسْتَ تَرَى
مِنْ جِنْسِهِ إِلَّا ثَقِيلًا مُرْدَرَى

ثُمَّ أَجِدْ سَمَاعًا فَقَابِلُهُ بِمَا
مِنَ الْفَضَائِلِ لَهُ قَدْ ذُكِرَا

وَهَا أَنَا أُشَنِّفُ السَّمْعَ نَخْذُ
عَيْنِي مَا فِي كُلِّ سَمْعٍ وَقَرَا

مَا بِهِ قَدْ نَطَقْتُ بِنَصِيَّهِ
آيُ الْكِتَابِ، وَلَهَا الْكُلُّ قَرَا

وَمَا بِهِ السَّنَةُ قَدْ تَوَاتَرَتْ
وَالسِّيرَةُ الْغَرَاءُ، فَأَتَلُ السِّيرَا

وَمَا بِهِ الْعَرَبُ فِي أَمْثَالِهَا
قَدْ نَوَّهْتُ، وَقَالَ فِيهِ الشَّعْرَا

وَلَسْتُ فِي كُلِّ حَمَارٍ رَاغِبًا
سَمْوَهُ عَيْرَاً أَوْ حَمَارًا أَوْ فَرَا

لَكِنِّي يَا شَيْخُ يَحِيَّ أَبْتَغِي
رِضَاكَ، لَيْسَ لِأَزِيدَ فِي الْمِرَا

وَإِنَّمَا لِكَيْ أَكُونَ مُنْصِفًا
إِذَا بَسَطْتُ الْقَوْلَ فِيهِ مُعْذِرًا

وَجِئْتُ فِي أَمْرِ الْحَمِيرِ كُلِّهِمْ
بِمَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ مُخْبِرَا

أَمَا الَّذِي لَهُمْ فِنْ خَلَافِهِ
تَعْرِفُهُ إِنْ تَكُ بَعْدُ مُنْكِرًا

شَاءُ الْحِمَارُ الْحَمْلُ وَالرُّكُوبُ وَالْ
حَرْثُ، وَجَرُ الْعَرَبَاتِ فِي الْقُرَى

كَالدُورِ بِالرَّحْيِ وَدَرْسُ الْلِزْرُو
عَ وَالْبُدُورِ وَأُمُورِ أَخْرَا

وَالْخَيلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ مِنْ
مَا رَبَّنَا لِمِثْلِ ذَاكَ سَخْرَا

لِتَرْكُبُوهَا، ثُمَّ قَالَ: زِينَةٌ
لِلنَّاظِرِينَ حِلْيَةٌ وَمُنْظَرًا

لِكِنَّمَا الْحَمِيرُ أَدْنَى رُتْبَةً
لِذَاكَ جَاءَ ذِكْرُهَا مُؤَخْرًا

وَلَا تَرَى فِي النَّاسِ مَنْ يَخْتَارُهَا
إِنْ كَانَ قَدْ خَيْرٌ مِنْ خَيْرًا

فَالْمَلْشِيُّ رَاجِلًا بِلَا مَطِيلَةَ
وَلَا رُكُوبٌ فِي السِّفَارِ الْحُمْرَا

إِنَّ الْحَمَارَ شَرُّ ظَهَرٍ يُمْتَطِي
وَشَرُّ مَرْكُوبٍ لِمَنْ يَبْغِي السُّرَى

يَمْشِي مُرَاوِحًا مَكَانَهُ فَإِنْ
أَبْصَرَتْهُ تَخَالَهُ يَمْشِي وَرَا

وَلَوْ مَعَ الْجِيَادِ سَارَ سَاعَةً
لَقَالَ: هَاتُوا لِي سِمَاطًا أَخْضَرًا

فَنَافَسَ الْجِيَادَ فِي مِضْمَارِهَا
لَكِنَّهُ سُرْعَانَ مَا تَدَهُورَا

وَإِنْ تُرِدْ مِنْهُ الْمَزِيدَ زَاجِرًا
صَارَ الَّذِي أَنْكَرَ مِنْهُ أَكْثَرًا

وَإِنْ تَرِدْ فِي حَفْزِهِ بِوَخْزِهِ
ظَنْكَ تَسْتَوْقَهُ فَقَصْرَا

وَإِنْ حَمَلْتَهُ عَلَى تَقْدِيمِ
خَالَكَ تَسْتَأْخِرُهُ فَاسْتَأْخِرَا

يَمِشِي الْمُوْيِنِي وَيَرَاهُ سُنَّة
فَهُوَ إِذَا سَارَ تَقْفَى الْأَثَرَا

وَلِلْعِثَارِ نَسْقٌ فِي سَيِّرِهِ
لَيْسَ يُبَالِي حُفَرًا أَوْ حَجَرًا

وَكَمْ عِثَارٍ مَا لَهُ مِنْ بَاعِثٍ
وَإِنَّمَا بَدَا لَهُ فَعْثَرًا

وَانْظُرْ إِلَى الْأَمْثَالِ فِي مَضَرِّهَا
بِهِ، وَكَمْ مِنْ مَثَلٍ بِهِ جَرَى

حَسِبْكَ فِي الْوَحِينِ كَمْ جَاءَ بِهِ
مِنْ آيَةٍ، وَكَمْ حَدِيثٍ سُطِّراً

وَانْظُرْ إِلَيْهِ فَرَّ مِنْ قَسْوَرَةٍ
وَقَدْ تَوَلَّ مُدَبِّرًا مُسْتَنْفِرًا

كَمْ بِهِ قَدْ ضُرِبَ الْمَثَلُ فِي
إِعْرَاضِهِ عَمَّا بِهِ قَدْ ذُكِرَ

لَوْ كَانَ فِيهِ لِلْقَبُولِ مَوْضِعٌ
مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ: إِنَّ أَنْكَرَا

إِلَيْهِ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ نَاهِقًا
وَيُسْتَعَذُ عَنْهُ إِذَا انْبَرَى

يَا شَيْخُ يَحِيَّ هَذِهِ قَضِيَّةٌ
مَعَ الْحِمَارِ مَوْرِدًا وَمَصْدَرًا

قَرَأْتُ فِي آدَابِنَا مِنْ ذَمَّهِ
بَدَائِعًا مِنْ حَقِّهَا أَنْ تُشَهِّرَ

فَكُمْ هَجَاهُ مَنْ هَجَاهَ مِنْ شَاعِيرٍ
وَكُمْ حَكِيمٌ عَنْ حِمَاهُ نَفَرَ

فَقِيلَ فِي رَأْكِيهِ: "سَوْفَ تَرَى
إِذَا انْجَلَ الْغَبَارُ" مَا سَوْفَ تَرَى

إِنَّ الْحِوَارُ وَالْحِمَارُ اصْطَحَبَا
فِي السَّيْرِ الْفَيْتَ الْحِوَارَ اسْتَحْمَرَا

وَصَارَ مِنْ بَعْدِ الرُّغَاءِ شَاهِقًا
وَنَاهِقًا، سُرْعَانَ مَا تَأَثَّرَ

وَلَكَ فِي حِمَارٍ تُومَا مَثَلٌ
إِذْ قَالَ عَنْ رَأْكِيهِ مَا أُثِرَّا

مَقَالَةً عَنْهُ حَكَاهَا مَنْ حَكَى
عَلَى لِسَانِ حَالِهِ مُعَبِّراً

لَوْ أَنْصَفُونِي قَالَ مَا كُنْتُ أَنَا
أَحَقَّ أَنْ أُرْكَبَ إِذْ أَنَا بَرَا

لَاَنَّ جَهْلِيَّ بَسِيطٌ وَالَّذِي
يَرَكُبُنِي بِالْجَهْلِ قَدْ تَدَثَّرَا

إِنَّ الْحِمَارَ مُعِرقٌ فِي جِنْسِهِ
كَانَ أَصِيلَ الْعِرْقِ أَوْ تَحْمِرا

لَا يَقْبِلُ الْمَجَازَ فِي تَشْبِيهِ
وَهُبَهُ قِيلَ: الْعِيرُ، أَوْ قِيلَ الْفَرَا

وَهُوَ حِمَارٌ كَيْفَمَا قَلْبَتِهِ
وَلَوْ شَرَّاجٍ قِصْرَاجٍ

أَرَى الْخَلِيلَ فِي الْعَرْوَضِ عَدْهُ
وَلَمْ يُرَاعِ ضَعْفَهُ وَالْخُورَاجُ

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ
رَكْضُ الْحِمَارِ وَزْنُهُ إِذَا جَرَى

فَمَنْ تَرَاهُ عَاجِزاً عَنْ نَظِيمِهِ
وَلَوْ أَرَادَ الْأَلْفَ مِنْهَا اسْتِيَسِراً

فَإِنْ يَكُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ
شِعْرًا، فَكُلُّ النَّاسِ صَارُوا شُعْرًا

لِذَاكَ قَدْ رَكِبَهُ النَّظَامُ فِي
أَنْظَامِهِمْ وَلَمْ يُطِيلُوا الْفِكَرَا

فَكَثُرْتُ حَمِيرَهُمْ، وَزَاحَتْ
أَهْلَ الْقَرِيضِ وَالْقَصِيدِ بِالْهَرَا

لَا تَأْمَنِ الْحَمِيرَ فِي رُكُوبِهَا
وَلَا تَقْلِ فِيهَا: رُكُوبُ الْفُقَرا

فَكَمْ فَقِيرٌ قَصَمَتْ فَقَارَهُ
فَمَا تَوَلَّ الْيَوْمُ حَتَّى أَقِيرَا

وَسَقْطَهُ عَنِ الْجَوَادِ سَلَمَتْ
وَسَقْطَهُ الْحِمَارِ دَقَّتِ الْقَرَا

فَلَا تَقْلِ لِي فِي حِمَارٍ فَارِهُ
فَكُلُّهَا مَهْمَا تَفَرَّهُ فَرَا

لَوْلَيْسَ الْحِمَارُ شَوَّبَ حَبَرَهُ
كَانَ حِمَارًا قَدْ تَرَدَى الْحِبَرَا

أَوْ قَدْ جَرَى مَعَ الْجِيَادِ غَلُوَةً
قِيلَ: حِمَارٌ فِي السِّبَاقِ غَبَرَا

جَاءَ أَخْيَرًا وَهُوَ يَشْكُو حَظَهُ
يَرَى لِسُوءِ حَظَهِ تَآخَرًا

وَانْ مَنْ يَعْلَفُهُ مَقْصِرٌ
فِي حَقِّهِ فَهُوَ لِذَالِكَ قَصَرًا

فَالشَّوْمُ فِي ثَلَاثَةِ إِنْ كَانَ فَهُ
وَوَاحِدٌ فِيمَا نَعْدَهُ يَرِي

لَا تَرْكِبِ الْحِمَارَ يَوْمًا إِنَّهُ
بِئْسَ الْمَطِيَّةُ لِمَنْ لَهُ عَرَا

وَلَا تَثِقْ إِذَا بَدَا مُسَالِمًا
فَالنَّارُ قَبْلَ الْوَقْدِ كَانَتْ شَجَرًا

وَلَا تُقْلِفِ فِي رَجَزٍ شِعْرٌ فَلَوْ
كَانَ لَمَّا قِيلَ: حِمَارُ الشِّعْرَا

لَا تَأْمِنُ الْعِيرَ فَرُبَّمَا هُوَ
بِرَأْكِبِ فَدَقٍ مِنْهُ الْمِنْخَرَا

لَمْ يَرْعَ فِيهِ ذِمَّةً أَوْ صُحبَةً
وَلَوْ غَذَاهُ أَشْهَرًا وَأَشْهَرًا

يُعْلِفُهُ مِنْ قُوتِهِ وَيَقْتِنِي
لَهُ إِلَّا كَافَ وَالْمَخَالِي الْأَوْفَرَا

وَكَانَ يَسْتَوْصِي بِهِ فِي ظَهِيرَهِ
فَلَا يَحْمُلُ سِوَى مَا قَدَرَأَا

وَلَيْسَ يَرِدُفُ عَلَيْهِ رَأْبَكَا
مِنْ خَلْفِهِ مِنْ رَجُلٍ أَوْ مِنْ مَرَا

لَكِنْمَا الْعِيرُ لِسُوءِ طَبِيعَهِ
لَا يَعْقِلُ الْجَمِيلَ مَهْمَا كَثُرَا

وَلَا يُبَالِي صَرْعَةً أَوْ رَفْسَةً
تَغْدُو بِهَا عَلَى التَّرَى مُعْثَرًا

وَرَبِّمَا زَادَ فِرَارًا بَعْدَمَا
فَعَلَّهَا وَطَاشَ عَنْكَ مَنْظَرًا

ثُمَّ رَمَى إِكَافَهُ وَخَرْجَهُ
وَمَا حَمَلَتْ فِيهِ فِي عُرْضِ التَّرَى

إِنَّ الْحَمَارَ لَا مِيرُ نَفْسِهِ
وَلَوْ تَأَدَّبَتْ لَهُ مَا شَعَرَّا

وَلَوْ تَخَيَّرْتَ لَهُ بِرْدَعَةً
مِنْ نَسْجٍ صَنْعَاءَ وَوَشِي عَبْقَرَا

وَلَمْ يَزِلْ فِي جِنْسِهِ مُمْتَنًا
كَا أَرَاهُ فِي حِمَارِ الشِّعْرَأَ

وَلَيْسَ هَجَوِيًّا لِلْحِمَارِ غَايَتِي
كَانَ حِمَارَ الشِّعْرِ أَوْ كَانَ فَرَا

وَإِنَّمَا جَعَلَهُ وَسِيلَةً
أَمْلَحُ الْجِدَّ بِهَا إِذَا عَرَأَ

فَقِي زَمَانِ الْجِدِّ تَحْلُو سَاعَةٌ
لِلْهَزْلِ يَمْرُحُ بِهَا مَنْ سَرَا

فَمَطْعُ القَوْلِ عَلَى وَتِيرَةٍ
يَمْلُّ مِنْهُ مَنْ بَدَا أَوْ حَضَرَا

نَخْذُ إِلَيْكَ هَذِهِ تَكْلِةً
فِي رَجَزٍ طَلَقْتُ فِيهِ الْأَبْحَرَا

جَبْرًا لِخَاطِرِ أَدِيبٍ بَارِعٍ
أَحَبْهُ فَقُلْتُ فِيهِ مَا تَرَى

ثُمَّ أَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِمَا
إِنِّي مِنْ هَذِلِ بَرِيٍّ صَدَرَ

وَقَائِلٌ خِتَامٌ مَا دَبَّجْتُهُ
صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى

مُحَمَّدٌ وَآلُهُ وَصَحْبِهِ
ثُمَّ عَلَيْكُمْ مَعْشَرًا فَمُعْشَرًا

د. عبد الهادي جعيتو

سماعهما بصوت محمد سايد 

✉ إرسالهما في واتساب

نسخة الورق 